

إمكانية التصالح بين العلمانية والتدين

د. علياء رضاه رافع

مسئوليتنا من أجل السلام

القاهرة 18-20 يناير

ملخص

يوضح هذا الحديث أنه لا يوجد أي تناقض بين الرسائل القادمة من السماء وبين الإجابات التي يصل إليها الإنسان الباحث عن سر الحياة والنابعة من أعماق قلبه. وذلك لأنه ما ينطوي عليه القلب الإنساني من فطرة هي فيض من المقدس. وتساعد الأسئلة التي نوجهها عن سر الحياة على الاستماع إلى الصوت الداخلي، ذلك لأن السر القدسي رابض في أعماق قلوبنا. ولقد جاءت الرسائل جميعا لتدعم الإنسان في جهاده وتدخل السكينة والاطمئنان إلى قلبه وعقله. ويوضح هذا الحديث أيضا أنه عندما يفقد الإنسان علاقته بقلبه أو بالصوت الداخلي، فإنه يتمسك بالمعاني الحرفية للنصوص القدسية ويفقد أيضا القدرة على فهم الهدف والمعنى الذي جاءت به الرسائل. وقد يتصور هؤلاء أن المقدس قوة سلطوية تحجر على التفكير، وتجبر الإنسان على الطاعة عن طريق التهديد والوعيد. ولهذا فإنهم يعيشون في صراعات خفية وظاهرة، ويفقدون سلام العقل والروح.

ومن ناحية أخرى فإن هذا الحديث يبين أنه لا يوجد تناقض بين جهاد الإنسان في تنظيم المجتمع، وبين ما جاءت به الشرائع السماوية من أجل هذا الهدف. ذلك أن الشرائع السماوية قد جاءت لتحقيق العدل والمساواة والحرية، وهي نفس الأهداف التي تسعى إليها النظم الوضعية. ويجيء التناقض عندما يعلن البعض أنه يحتكر الحقيقة في الرؤية والقراءة للنصوص الدينية، وكذلك عندما يعلن آخرون أننا لسنا في حاجة إلى الاهتمام بالمبادئ والمقاصد التي جاء بها الهدي السماوي. وحتى يحدث التصالح بين هؤلاء وهؤلاء، فإنه لا بد من إعطاء اهتمام مضاعف للثقافة الروحية مقترنة بالتدريب على إتباع المنهج العلمي في التفكير. الثقافة الروحية من شأنها أن تحرر الإنسان من التمسك بالشكل، وتسير به إلى أفق الحرية الداخلية، ويساعد التفكير العلمي الإنسان على تحرر العقل من التحيزات بأنواعها، واستخدام العقل التحليلي للخروج برؤى متعددة للنص الديني والتراث الإنساني. حينئذ يمكن أن يتفتح العقل الإنساني لرؤية أبعاد جديدة ومتجددة في النص الديني، ويستفيد من الرسائل الذي ينطوي عليها هذا الهدي، وفي نفس الوقت يمكن للناس في مختلف أنحاء الأرض أن يثروا بعضهم البعض من خلال التجارب التي يمر بها كل سواء كانوا يتبعون هديا دينيا مباشرا أم يبنون نظامهم الاجتماعي على أسس وضعية.

وللأسف، فإنه في عالم مليء بالضجيج، يفقد الناس ارتباطهم بالهدي الداخلي ويصبحوا عرضة للانصياع للنفس الدنيا، ويتصارعون للسيطرة والكبر وهو ما يعميهم عن تحقيق معانيهم الإنسانية. وتصبح التعاليم الروحية صرخات في البرية لا يستمع إليها أحد. وفي محاولة من أجل الخروج من هذه المعضلة، فإنني أتصور أننا في حاجة إلى قراءة تاريخنا الإنساني بعيون جديدة، كي ندرك كيف ومن أين جاء التناقض بين العقل والقلب الملهم، ولنعرف ما هي القضايا الرئيسية التي تعجزنا، وتحجب عنا القدرة على التفكير الواضح والقلب المفتوح لرؤية الحق الصراح، والاستجابة إلى داع الحق فينا. وإذا استيقظ وعينا، فإنه يصبح بالإمكان أن يلهمنا الله الطريق إلى تحقيق إنسانيتنا، التي هي في نفس الوقت تحقيق الهدف الذي جاءت الرسالات من أجله. ويصبح بإمكاننا إدراك أن الجهاد من أجل تحسين ظروف الحياة على الأرض، والقضاء على الفقر، وتوفير فرص متكافئة في التعليم والعمل، وحياة كريمة لكل البشر على كوكبنا، هو في الواقع جزء من سعينا لإشباع احتياجاتنا الروحية.

وحيث تسقط الفجوة بين العقل والقلب، العلم والإيمان، الروح والجسد. سنكون كلاً متكامل. سنستيقظ لندرك أصلنا الواحد ومصيرنا الواحد، إنا لله وإنا إليه راجعون. إننا في حاجة إلى بناء نهضة جديدة تدعمها ثقافة روحية تنتشر في العالم أجمع، وتأخذ على عاتقها نشر السلام. إنها رسالة الإسلام من قديم بدأ مع آدم و استمر مع كل الأنبياء حتى سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، وإلى ما شاء الله.